مجلة المجمع العلمي

الوصية .. عند العرب قبل الاسلام

الأستاذ الدكتور

حمدان عبد المجيد الكبيسي

كلية الآداب / جامعة بغداد

الملخص :

احتلت الوصية جانباً مهماً من اهتمامات العرب قبل الإسلام ، لا سيما عند الملوك ورؤساء القبائل و الأفخاذ و البطون ، وحتى عامة الناس .

ذلك إن هؤلاء كانوا يوصون أبناءهم وإخوانهم و أفراد قبائلهم خلاصة تجاربهم وخبراتهم المتراكمة ، فكانوا يتحينون المناسبات الخاصة و العامة فيوصون عن ما يريدون أن يوصوه بشتى أمور الحياة وستركز هذه الدراسة على وصايا الملوك و الأمراء ورؤساء القبائل التي تتصف بالواقعية وتستمد معانيها من الحياة اليومية .

المقدمة :

احتلت الوصية جانباً مهماً من اهتمامات العرب قبل الاسلام ، لاسيما عند الملوك ورؤساء القبائل والعشائر ورؤساء الافخاذ والبطون ، وحتى عامة الناس ، ذلك ان هؤلاء كانوا يوصون ابناءهم واخوانهم وافراد قبائلهم خلاصة تجاربهم وخبراتهم المتراكمة ، فكانوا يتحينون المناسبات الخاصة والعامة فيوصون من يريدون ان يوصوه بشتى امور الحياة ، ذلك ان الوصايا التي سنستعرضها سنجد انها تتناول جوانب متعددة واغراضاً متنوعة من الكرم والسخاء والشجاعة والنجدة ، والحلم والصبر والبيان والحلم ، وإخبار وتقت حوادث

تاريخية كثيرة ، وستتركز هذه الدراسة على وصايا الملوك والامـراء ورؤساء القبائل لابنائهم ، ذلك ان هؤلاء كانوا يعدون الوصـية امـرا ضرورياًومكملاً ، وربما خاتمة لمهماتهم التي كانوا يطلعـون بهـا ، الابوية ، والسياسية والاجتماعية ، والقتالية (الحربية) والاقصادية .

الوصية لغة واصطلاحاً :

سمية الوصية ، وصية : لاتصالها بـأمر الميـت[١] ، وتعنـي الوصية ايضاً (العهد) فيقال وصيته ، اي عهدت اليه القيـام بـالامر بعدي[٢] ، والتصرف فيه بعد الموت[٣] . وأوصى الرجل ووصاه : اي عهد اليه[٤] ، ومنه اشتق العهد الذي يكتبه للولاة .[٥]

---

(١) الازهري ، محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة (القـاهرة ، الـدار المصرية التأليف ١٩٦٧) مادة (وصى) .
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ، لسـان العـرب ، (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ١٩٥٦) مادة و (وصى) .

(٢) الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ) ، العـين ، (بغـداد ، مطبعـة العاني ، ١٩٦٧) ، مادة (عهد) .
الزمخشري ، ابو القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ) ، اسـاس البلاغـة ، (القاهرة ، مطابع الشعب ، ١٩٦٠) ، مادة (عهد) .
أبن منظور ، لسان العرب ، مادة (وصى) .

(٣) ابن قدامة ، موفق الدين ابو محمد عبد الله بن احمد (ت٦٢٠هـ) ، المغنـي في فقد الامام احمد بن حنبل ، (بيروت ، دار الكتـاب العربـي ، ١٩٨٣) ، ج٦ ، ص٤١٤ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص٣٩٤ (مادة وصى) .

(٥) الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ) ، الصحاح ، (بيـروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٧) ، ج٢ ، ص٥١٥ .

وقد وردت كلمة (وصية) ومشتقاتها مرات عديدة في القرآن الكريم[٦] وفسرها العلماء والفقهاء بمعانيها ومدلولاتها الشرعية .[٧]

وحرص العرب قبل الاسلام ان يركزوا وصاياهم على الخصال الحميدة التي لا تكاد تخلو اية وصيةٌ منهـا ، ذلـك ان الابـاء كـانوا حريصين كل الحرص في الاحتفاظ بالسيادة في اهل بيـتهم ، وانهـم تلمسوا ان لا سبيل الى الاحتفاظ بالزعامة والامساك بهـا الا بـالتحلي بهذه الصفات التي كانوا يؤكدون عليها في وصـاياهم ، ويـأتي فـي مقدمتها الشجاعة والكرم والسخاء ، والحلم والصبر والنجدة والبيان .

وكان عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت٢١٧هـ) قد استجاب لطلب الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ـ١٩٣هـ) فرأى استفراغ المجهود في قلة ما وصل اليه من وصايا الملوك والامراء ، فاتعب ركبه يجوب البوادي ، ويتصل بالقبائل مستقصيا بها رواة الاخبار ، وحفظة تواريخ

---

[٦] ينظر : سورة البقرة ، اية ١٣٢ و ١٨٠ و ٢٤٠ ، وسورة النساء ، اية ١١ و ١١٢ ، وسورة المائدة ، اية١٠٦ ، وسورة الشـورى ، ايـة ١٣ ، وسـورة الانعام ، اية ١٤٤ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ .

[٧] الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، جـامع البيـان عـن تأويـل آي القـرآن ، (بيـروت ، دار الفكـر ، ١٩٨٨) ، ج٥ ، ص٣١٨ ، و ج٨ ، ص٨١ و ٨٤ .

ابن كثير ، ابو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، بلا) ، ج١ ، ص١٨٤ و ١٨٥ .

الاشقر ، محمد سليمان ، زبدة التفسير من فتح القـدير ، (الكويـت ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٥ ، ص٣٤ و ٢٠٩ و ٢١٢ .

وحوادث ما مضى من العصور السالفة ، فدون كل ما وصله من النسابين والرجال المعمرين الذين ، رووا له وصايا الاجداد السابقين ، فجمع ما بلغه من اخبار ملوك العرب ووصاياهم واشعارهم وخطبهم ونصائحهم الى ذويهم والمقربين منهم ، مضمنين اياها وصاياهم التي تؤكد ان هؤلاء الاجداد نظروا في امرهم ورأو انهم لابد ان يملكوا امرهم شريفاً لا يجدون من طاعته بداً ، فملكوا قحطان بن هود النبي[٨] عليه السلام ، وهو اول نبي مرسل بعد نوح عليه السلام .

وكان قحطان بن هود النبي قد وصى بنيه وصية جامعة لكل جوانب حياتهم،حيث ذكرهم بما حل بقوم عاد وثمود لانهم عتو على

---

[٨] هو قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن آرفخشد بن سام بن نوح :
(ينظر : الاصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت٢١٧هـ) ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٩) ، ص٤ .
ابو حنيفة الدينوري ، احمد بن داود (ت٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال ، (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٠) ، ص٩ .
الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، (القاهرة ، مطابع دار المعارف ، ١٩٦٦) ، ج١ ، ص٦٦ ، و جامع البيان ، ج٢ ، ص٣٦ .
ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢) ، ص ، ص٥٧ .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٥) ، ج١ ، ص٣٧٩ .
النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٣٣٤هـ) ، نهاية الارب ، (القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، بلا) ، ج٢ ، ص٢٧٣ .

ربهم ، واتخذوا الهة يعبدونها من دونه ، وعصوا امر نبيهم هود عليه السلام .[٩]

الحث على التمسك بوحدة القبيلة :

سبق ان قلنا ان اقدم وصية وصلتنا هي ما اوصى قحطان بن هود النبي عليه السلام بنيه ، ومن المؤكد انه كان يتحرى من وراء وصيته هذه مصلحة اسرته التي من خلالها تتحقق اصالة غاية القبيلة والتمسك باهدافها الانية والمستقبلية ، والنأي عن كل ما من شأنه ان يضعف تماسكها ووحدتها ، فقال يخاطب بنيه : ((... وأوصيكم بذي الرحم ، وأياكم والحسد ، فانه داعية القطيعة فيما بينكم ...)) .[١٠]

ويبدو ان قحطان بن هود النبي عليه السلام قد صادف في وصيته الرمية ، واصاب الهدف ، واستوفى المسائل ومضمونها ، وشخص ما قد يعترض القبيلة من العوارض الذاتية والخارجية ، وما يحيط بها من الكوامن واسبابها ، واوضح الادلة التي من شأنها ان تضع المُوصي في حرز امين كي يستطيع ان ينفذ مضمون الوصية بكل جوانبها ، ويسهل عليه الامر في قيادة القبيلة ، فعين خليفته ابنه يعرب ، فقال : ((واخوكم يعرب اميني عليكم وخليفتي بينكم ، فاسمعوا له واطيعوا ، واحفظوا وصيتي واعملوا بها ، واثبتوا عليها ترشدوا)) .[١١]

ولم ينس قحطان بن هود ان يلتفت الى الموصى له يذكره بمسؤلياته الدينية والاسرية والاجتماعية ، واحترام افراد القبيلة ، وعدم

---

(٩) الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص٦ .

(١٠) الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص٦ .

(١١) م.ن .

الاستخفاف بارائهم ومشاعرهم ومصالحهم الخاصة والعامة ، على ان يستوي عنده ميزان التعادلية بين افراد القبيلة ، وان يوائم بين الالتزامات والواجبات عندما يمارس مهامه كقائد لهؤلاء الناس فقال :

أبا يشجب[١٢] أنتَ المرجى وأنتَ لي ... امينٌ على سري وجهريَ حافظُ
عليك بدين لستَ تنكر فضلَهُ ... فقد سبقت فيه اليكَ المواعظُ
وواصل ذوي القربى وحطْهُم فانهم ... ملاذكَ إن حامتْ عليكَ البواهظُ
ولفظكَ عوّنْه ياحسن منطقٍ ... فانك مرهون بما أنْتَ لافظُ
وكن كاظماً للغيظ في كل ندوة ... اذا استجحظت تلك العيون الجواحظُ
تيقظ من الاعداء سراً وجهرةً ... بحلمكَ وانتك النفوس القوابظُ
وماسادَ مَنْ قد ساد إلا بحلمه ... اذا لم يرحظه من البخل لاحظُ
فكن راجحاً محض الشمائل ماجداً ... حفياً حمياً انني لك واعظ[١٣]

وذكر الاصمعي (ت٢١٧هـ) أن يعرب بن قحطان قد حفظ وصية أبيه وثبت عليها ، وعمل بها . ويلوح الباحث أن يعرب بن قحطان كان وفياً لمضمون وصية والده ، لقناعته التامة بجدواها ، ونيل أهدافها ومبادئها التي كانت حاضرة بوضوح كخلفية زاهية لونت ماضي القبيلة بمواقف إنسانية مميزة ، وصاغت أسلوب حياتها في التعاطي مع الآخرين . ومما يؤيد ذلك أن الأصمعي قال للخليفة هارون الرشيد : ((وبلغني يا أمير المؤمنين ان يعرب بن قحطان حفظ وصية ابيه ، وثبت عليها وعمل بها)) .[١٤]

---

[١٢] يقصد ابنه يعرب .

[١٣] الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص٦ــ٧ .

[١٤] م.ن ، ص٧ .

وبلا ريب فان الشمولية والموضوعية التي تناولتها وصية قحطان بن هود النبي عليه السلام جعلت كثيراً من الوصايا الاخرى تسير مقتفية اثرها اتفاقا واخلاقا ، مطمئنة الى صدق كاتبها .

وما يصح القول عن وصية قحطان بن هود التي تناولناها تواً يكاد ينطبق على ما جاء في وصية يعرب بن قحطان الذي اتيحت له الاشارة والتاكيد على النهج الصائب الذي اراد ان يسلكه ابناؤه ، ذلك ان يعرب بن قحطان رأي انه لا محيد من تكاتف الاخوة وتأزرهم ، لأن واقع المجتمع القبلي هو أسير هذه الظاهرة التي افرزتها الحياة اليومية المعاشة ، التي كانت تعطي مزيداً من صور التناحر والاقتتال ، فقال : ((يا بني احفظوا مني خصالا عشرا ، تكن لكم ذكراً وذخراً ، يا بني تعلموا العلم واعملوا به ، واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليه ، فانه داعية القطيعة فيما بينكم ، وتجنبوا الشر واهله ، فان الشر لا يجلب عليكم الا الشر ، وانصفو الناس من انفسكم ، لينصفوكم من انفسهم ، واياكم والكبرياء فانها تبعد قلوب الرجل عنكم ، وعليكم بالتواضع ، فانه يقربكم من الناس ويحببكم اليهم ، واصفحوا عن المسيء اليكم ، فان الصفح عن المسيء يحسم العداوة ، ويزيد من السؤدد سؤدداً ، ومع الفضل فضلا ، والجار الدخيل على انفسكم فلن يسوء حاله ، ولئن يسوء حال احدكم خير له من ان يسوء حال جاره ، لان تفقد الناس المُقَتَدَى اكثر من تفقدهم المُقْتَدَي ، وانصروا المولى ، فان مولاكم في السلم والحرب منكم ولكم ، وابن مولاكم من انفسكم ، وحقه عليكم مثل حق احدكم على سائركم ، واذا استشاركم مستشير فاشيروا عليه بما تشيرون به على انفسكم في مثل ما استشاركم فيه ، فانها امانة القاها في اعناقكم ، والامانة ما قد علمتم وتمسكوا في اصطناع الرجل أجدر ان

تسودوا به غيركم واحرى ان يزيدكم ذلك شرفاً وفخراً الى اخر الدهر)) .[١٥]

ويلوح للباحث ان يعرب بن قحطان لم يؤكد في صويته على ضرورة بقاء الزعامة بيد ابنائه ، والتوجه نحو مصلحة الاسرة والانهماك في مصالحها الضيقة حسب ، لانه وجد ان ذلك يشكل خسارة فادحة للاسرة والقبيلة معاً ، وذلك لان مثل هذا التوجه يفقد الاسرة حضورها الجسدي والذهني ، فضلا عن فقدان قوة القبيلة وكيانها ، لذا رأى يعرب انه لا يمكن ان يقتصر مضمون وصيته على التركيز في مصلحة الاسرة والابناء ، وانما عليه ان ياخذ بنظر الاعتبار مصلحة القبيلة وتنامي قوتها ومنعتها ، وتنوع ما تقدمه من مواقف بطولية تذود بها عن كيان القبيلة ومصالحها الحيوية ، فاكد على حماية الجار والدخيل ، فقال : ((ولئن يسوء حال احدكم خير له من ان يسوء حال جاره))[١٦] ، كما اكد على ضرورة نصرة المولى ، لأن المولى جزء من كيان القبيلة في حالتي السلم والحرب .

ويؤكد الاصمعي (ت٢١٧هـ) ان يشجب بن يعرب ثبت على وصية ابيه دون غيره من سائر اخوته وعشيرته ، فساد الجميع بثباته على تلك الوصية والالتزام بها ، وحفظه ايالها وعمله بها ،ويتضح انه كان على قناعة تامة بصوابها ، وادرك ان البناء القويم الذي ارسى قواعده قحطان بن هود النبي عليه السلام على اسس متينة ، اعطى للقبيلة منعة وقوة استطاعت من خلالها كبح ذوي الاطماع والاطماح ،

---

[١٥] الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص٩ـ١٠ .

[١٦] م.ن ، ص١٠ .

وبذلك وصى بنيه قال : ((يا بني لم أسد اخوتي وعشيرتي الا بحفظي وصية ابي يعرب بن قحطان ، وبعملي بها ، وثباتي عليها ، وان ابي يعرب بن قحطان لم يسد اخوته وعشيرته الا بحفظ وصية قحطان بن هود ، وبعمله بها ، وثباته عليه ، وان جدي قحطان بن هود لم يسد قومه واخوته الا بحفظ وصية ابيه هود ، وعمله بها ، وثباته عليها فأقيموا على ما وجدتموني عليه ، وهو الذي انهيته اليكم كلاماً وشعراً مما وصاني به ابي ، وقد حفظتم الكلَّ فاثبوا عليه واعملوا به ، والله خليفتي عليكم ، ثم الرشد المهدي[١٧] منكم))[١٨] ، ثم قال :

اوصى النبي ابنه قحطان جدي كما ... وصي بنيه ابي من بعد قحطان
علمّ حواه ابي من دون اخوته ... وُحزْتُهُ بعده من دون اخواني
وزادني يعربٌ من عنده شيماً ... وصى بنيه بها يوماً ووصاني
حفظتها حينما غيري استهانَ بها ... وحفظها اخر الايام من شأني
أعبدَ شمسٍ ابيت اللعن من خلفٍ ... هل أنت بعدي في ملك لنا ثاني؟
هل انتَ تحفظ مني ما حفظتُ وما ... به بنيتُ لكم ملكي وسلطاني
بلى رايتكَ هشاً ماجداً فطناً ... وقد اخالك طباً غير علاني[١٩]

---

[١٧] يقصد انه اوصى بالزعامة من بعده الى ابنه (عبد شمس) ، وهو سبأ بن يستجب بن يعرب بن قحطان بن هود (الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص١٣) ، في حين قال اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) ، ان سبأ هو ابن يعرب بن قحطان ، وهو اول من ملك من العرب (تاريخ اليعقوبي ، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٤) ج١ ، ص١٦٨ .

[١٨] الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص١١ــ١٢ .

[١٩] م.ن ، ص١٢ .

وبذلك يتضح ان يشجب بن يعرب قد تحدث باسهاب ووضوح في وصيته ، كما دون فيها كل ما يحلو له من الثناء الجزيل والاطراء الواسع على وصايا ابيه واجداده ، وهو ينزه مديحه الغزير بما حققته سياسة والده في تحري الصدق ، ونبل الغاية ، والبعد عن المصالح الذاتية ، ونشدان مصلحة الجماعة ووضع مؤشرات واضحة وشاخصة امام ابنائه وبقية افراد القبيلة متخذاً من ابيه مثلا حياً ، فرسم صورة مشرقة يقتدى بها ، ثم اخذ يشجب يخاطب خليفته وجماعة القبيلة ، محاولا شد ازر القبيلة ، وتفاعل رجالها وتعاضدهم .

ومرة اخرى ذكر الاصمعي ان سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قد ثبت على وصية ابيه (يشجب بن يعرب) ، وحفظها وعمل بها ، فساد اخوته واهل بيته وقبيلته ، بحيث أنه اصبح ملك الجميع وعمادهم ، وانه برز من سبقه من ملوك العرب في شجاعته واتقانه فنون القتال والتصدي لاعدائه ، فكانت وصيته شاملة ومتوازنة ، ففتحت اسارير فرسان القبيلة للجهر في امتشاق الحسام والذود عن حمى القبيلة والتصدي بشجاعة لاعدائها الطامعين ، وبذلك قال الاصمعي[٢٠] (ت٢١٧هـ)، : أنه أول من سبا واسر الاعادي، فلذلك سمي عبد شمس

---

[٢٠] م.ن ، ص١٣ .

(سبأ)[٢١] ، وهو ابو حمير وكهلان[٢٢]، قال اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) : أن اسم سبأ (عبد شمس) ، وقد سمي بهذا الاسم لأنه اول من ملك من ملوك العرب ، وسار في الارض وسبا السبايا[٢٣] ، في حين قال الاصمعي (ت٢١٧هـ) : ان سبأ اغار على بابل بالخيل والرجال فسيطر عليها واخذ الأتاوة من سكانها ، وضرب بالخيل والرجال في الارض ، فكان لا يذكر له بلداً الا قصده وفرض سيطرته عليه ، وبذلك قال الاصمعي : انه اول من فتح البلاد واخذ الاتاوة من اهلها[٢٤] ، فقال الشاعر في حقه :

لقد ملك الأفاق من حيث شرقها ... الى الغرب منها عبد الشمس بن يشجبِ
له ملك قحطان بن هود وراثة ... عن اسلاف صدق من جدودٍ ومن أبِ
فما مثل قحطان السماحة والندى ... ولا كإبنه ربٌّ الفصاحة يعربِ
ولا كالمصفىً عبد شمس بن يشجب ... اذا ... الناس من خير مطلبِ

---

[٢١] ينظر الحميري ، نشوان ، شمس العلوم ، (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١) ، ص٤٥ و ٥٧ . ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية في التاريخ ، (بيروت ، دار الفكر ، بلا) ، ج٢، ص١٥٨ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، دار الكتاب ، ١٩٥٦) ، ج٢ ، ص١٠٨٧ .

جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، (بغداد ، المجمع العلمي ، ١٩٥١) ، ج١ ، ص٢٨٤ ــ ٢٨٥ .

[٢٢] الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص١٣ .

[٢٣] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص١٦٨ .

[٢٤] الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص١٣ .

سما بالجياد الا عوجية والقنا إلى بابلٍ في مقنبٍ بعد مقنبِ
فآب بابكارٍ وعونٍ اوانسٍ مع الخرج متها في الخميس المدرب
ورعّل فيها الخيل شرقا ومغربا فمشرقها حازت له بعدَ مغربِ[٢٥]

ولكي يستكمل سبأ (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب الجوانب النظرية والعملية في وصيته ، كان يحاور ويصحح ، ويقارن وينتقي ، ثم يؤكد باصرار على الذي يوصيه ، ان يتأمل الاحداث الشائكة التي تمر بها القبيلة فيحمصها ليخرج بها في احسن وجه ، وهو والحال هذه يريد ان يعطي دليلاً عمليا لحالة حاسمة في زعامة القبيلة ، فكان يعمد الى جميع اهل مملكته ، ووجوه اهل بيته وعشيرته ويوعز الى ابنه (حمير) ان يجلس عن يمينه ، في حين يأمر ابنه الاخر (كهلان) ان يجلس عن شماله ، ثم اشعر الحاضرين انه لا يصح ليمينه ان تقطع شماله ، ولا يصح لشماله ان تقطع يمينه ، وبين لهم ضرورة ان يمنعوا يمينه ان همت بشماله ، ويمنعوا شماله ان همت يمينه ، وقد اعطوه العهد والمواثيق على ذلك ، ثم قال لهم : ((اني لم ارد بميني وشمال الا حمير وكهلان ، واني لم آمن ان يختلفا بعدي في الامر ، ولم اخذ العهود والمواثيق عليكم الا لتحولوا بعدي بين من يروم من هذين لصاحبه سوءاً او خلافاً ، وان لا يطلب احدهما بعدي اكثر مما يقسم له))[٢٦] وبين لهم ان ابنه الاكبر (حمير) يمينه ، وابنه الاصغر (كهلان) يساره ، وان نصيب حمير من ملكه مثل نصيب يمينه من بدنه ، وان نصيب كهلان من ملكه مثل نصيب شماله من بدنه ، ثم

---

[٢٥] م.ن ، ص١٣ــ١٤ .

[٢٦] م.ن ، ص١٣ــ١٤ .

طلب عن القوم ان يدفعوا لليمين ما يصلح له ، وان يدفعوا للشمال ما يصلح له . فدفعوا الى اليمين السيف والقلم والسوط ، على اساس ان هذه الاشياء الثلاثة تعمل بها اليمين ، ثم دفعوا الى الشمال : العيس والترس والقوس ، وقالوا هذه ثلاثة اشياء تعمل بها الشمال ، وانه لابد للشمال من معونة اليمين :[٢٧]

وازاء ذلك قلد سبأ ابنه حمير الملك وسلمه اليه ، وسمي (ايمنا) لجلوسه الى يمين ابيه ، وقلد ابنه الاخر كهلان ، الاطراف والثغور واعمالها وحروبها ومناواة العدو حيث كان ، على ان يحصل كهلان على دعم حمير واسعافه بالمال والنجدة وفي ذلك قول الشاعر :

ما ساد هذا الورى ابناء قحطان ... الا لفضل لهم قدماً واحسان
ما في الانام لهم حي يشاكلهم ... ولا لواحدهم في الارض من ثاني
لم يشهد الناس في بدوٍ ولا حضرٍ ... حكماً كحكم عظيم الملك والتناني
سبابن يشجب لا بنيه وانهما ... ليسدانا رفيقانا العظيمانِ
اعطى ابنه حميراً منه اليمين وقد ... اعطى الشمال ابنه المسمى بكهلانِ
وقال : يُقْسم ملكي اليوم بينهما ... وقسمه المال للابنين سهمانِ
تُعطى اليمين الذي حطوا اليمين به ... فيما يعانيه من سر واعلانِ
وللشمال الذي تسطو الشمال به ... عند النوائب من بأسٍ وسلطانِ
فالسيف والسوط صارا لليمين معاً ... وذلك القلم الجاري بترصانِ
والترس والقوس صارا للشمال وقد ... صار العنان لها فالمال نصفانِ
فصار ذلك بتاج الملك معتصماً ... دون الجحاجح من اولاد قحطانِ
وصارت الخيل تحمي الارض قاطبة ... وَمَنْ عليها لهذا الاخر الثاني[٢٨]

---

[٢٧] م.ن .

[٢٨] م . ن ، ص١٦ ــ ١٧ .

وكان الأصمعي قد اخبر الخليفة هـارون الرشـيد أن حميـر وكهلان لم يزالا على ذلك الوئام وكذلك أولادهمـا وأولاد أولادهمـا : لحمير على كهلان الطاعة ، ولكهلان على حمير المال والنجدة[٢٩] .

وتميزت وصية حمير بأنه وجهها الى جميع أولاده الاثني عشر رجلا وأكد فيها على أهمية زعيم القبيلة ، وحدد سلطته الواجب توسعها بازاء الفعل الاجتماعي والسياسي والحربي ، اذ قال بهذا الصدد موصيا بنيه : يابني ، ما اجتمع اثنان متآزران متعاضدان على أربعة او خمسة من أشتات الناس الا غلباها وملكا أمرها وقيادها ، وما اجتمع خمسـة نفر متعاضدين متآزرين على عشرة أنفار من أشتات الناس الا غلبوهم وملكوا أمرهم وقيادَهمُ ، وما اجمع عشرة أنفار متعاضـدين متـآزرين على الجماعة التي تكون مثليهم عددا من أشـتات النـاس الا غلبـوهم وملكوا أمرهم وقيادهم ، وايِّما، عصبة غلبت أربعينَ رجلا يوشك لهـا ان تغلب الثمانين والمئة وما فوقها، وغلاّب المئة حَرِيُـون ان يغلبـوا المئتين ، وغلاب المئتين حرَيُون ان يغلبوا الألف ، ومنتهى العز للفرقة ان لا يطمع فيها ألف رجل ، وما من رجل أطاعه رجل واحـد فقـام بالمجازات على ذلك إلا أطاعه عشرة ، وما من رجل أطاعه عشـرة أنفار لها مجازاتها على طاعتها له ، إلا أطاعه ألف رجل وما من رجلٍ أطاعه ألف رجل الا وقد ساد لا محالة ، ومَنْ ساد فقد ملك، وَمَنْ ملكَ فقد أوتى المنتهي في أمله في دنياه))[٣٠] ، ومن المؤكد ان مثـل هـذه

---

(٢٩) م . ن ، ص ١٧ (ينظر ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد بن حمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، (مصر ، مطبعة العامرة الشرقية ،١٣٠٥هـ)، ج٢ ، ص ٥٧ ــ ٥٩ .

(٣٠) الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص ١٧ ــ ١٨ .

المواقف تعطي زعيم القبيلة الثقة في اتساع قاعدة الإسناد الجمعي الواجب توافرها، والتي تعزز مكانة القبيلة، وارتفاع صدى صوتها عالياً قوياً .

ولم يستطع (حمير) أن يحبس أفكاره ويوقف سيل وصاياه ليستكمل بها كل ما من شأنه أن يرسخ أسس الزعامة في أولاده ، فمضى يقول في وصيته : ((يا بني أطيعوا الارشد فالارشد منكم ، ولا تعصوا (الهميسع) فانه خليفتي ــ بعد الله ــ عليكم ، واميني فيما بينكم ، وانه لسيفكم وانتم حد ذلك السيف ، وما السنان لولا الرمح ، بل ما الرمح لولا سنانه ، انتم (بالهُمَيْسع) وله والهُمَيْسع بكم ولكم))[٣١]

وكان لذكاء(حمير) وفطنته وحسن سيرته بين قومه ، ان أصبح له اثر صارم طوال زعامته للقبيلة ، فكان يتعامل مع أفراد قبيلته بحكمة وحذر ، وفي الوقت نفسه يعمل من اجل فكرة التوفيق والموازنة بين مصلحة القبيلة وأطماع الاسرة ، ويعد هذا التوفيق ديناً في عنقه ، يتحتم عليه ادءة بكل ما أوتي من إمكانات وقدرات، لذا أوصى خليفته قائلا :

هُمَيْسع لا تجهل مع الناس سيرتي فسر لي بها في الناس بعدي هُميْسعْ
بني بهم أوصيكَ خيراً فأنهم تَضرُ بهم مَنْ شئتَ يوماً وتنفعُ
وعمك وابن العم دونك بعده مرد الأعادي الكاشحين ومدفعُ
هُمْ لك كهفٌ بل هُمْ لك مؤئل وَهُم لكَ مِنْ دونِ البرية مفزعُ
وليس عقاب الطير يوماً وان لها تذل وتنقاد البغات وتخضعُ
تؤول الى وكر سوى وكرها الذي تؤوب اليه للمبيت وترجعُ
همسيع ان الناسَ وحش وانهم الى الرفق من خمس القوارب اسرعُ

---

[٣١] م . ن ، ص ١٨ .

همیسع دارِ الناسَ تُعْطَ قیادهـم فحظكَ منهم ان یطیعـوا ویسْمعَوا
همیسع لا والله إنْ انتَ حاصـدٌ طوال اللیالي غیر مـا أنتَ تزرعُ
أوصیك بالأقصین مثل وصیتي باخوتك الدنیا فهل أنْتَ تسمع ؟[٣٢]

ویبدو ان الهمیسع شعر ان تعاونه مع أخوته وأفراد قبیلته مـن شأنه ان یضفي الی منفعة القبیلة وصیانة حقوقها . فالتعاون والتـآزر یجب ان یؤول الی تثبیت قیادة (همیسع) لأن له المقام الاعلـی هنـا كقائد وزعیم ، لذلك قال الاصمعي : ان الهمیسع حفظ وصـیة ابیـه ، وثبت علیها وعمل بها ، واجری اخوته وقبیلته علی ما كـان اجـراهم ابوه (حمیر) حین ولي الملك من بعده ، وسار فیهم سیرته ، وكـذلك ابنه (ایمن بن الهمیسع)[٣٣] .

والحق ان وصیة (حمیر) كانت مصدر تحذیر صارم لابنائه وافراد قبیلته معا ، والذین تأثروا بمضمون الوصیة ، ولـم یسـمحوا لحالات التجاوز علی المقامات والاسماء ان تعكر صفاء الاخوة والنسب لغرض تصفیة الحسابات ، او الحصول علی مكاسب ذاتیة ، كما انهم لم یكتفوا بان یعلنوا ولاءهم ومؤازرتهم (لهمیسع) وابنه (ایمن) وانمـا تعهدوا ان یوصوا ابناءهم واحفادهم (ان تكون جموعهم لأیمـن مـا عاشوا وما عاش تبعا)[٣٤] . وبلا ریب فان هذا الموقف یشیر الـی ان ارتباط زعیم القبیلة بعلیة القوم ووجهاء القبیلة لم یكن واهیا ، وانما كان عكس ذلك ومما یعـزز مـا ذهبنـا الیـه ویؤكـده قـول الشـاعر مالك بن حمیر :

---

(٣٢) م . ن ، ص ١٨ ــ ١٩ .
(٣٣) م . ن ، ص ١٩ .
(٣٤) م . ن .

نُطيعُ ولا نعصي اخانا الهميسعا وأيمنَ ما غنى الحمام وسَجَعا
لقد سادَ املاك البلاد هُمَيْسعٌ وما كملت خمساً سنوه واربعا
وأيمن شمناً فيه ما في هميسعٍ رأته بنو هود فطيماً ومرضعا
فوالله لا ننفك نجمع شملنا على ما عليه الرأي والامر اجمعا
ونوصي بنينا أنْ تكون جموعهم لايمن ما عاشوا وماعاش تبعا[٣٥]

والمهم في الأمر ان (أيمن) لما ولي الملك بعد أبيه الهميسع ، سار في الناس سيرة أبيه وجده ، وحفظ جميع ما انتهى اليه من وصايا أبائه وإسلافه التي كانوا يؤكدون عليها ويوصون بها ، ويحفظونها استجابة لسياسة المملكة وصيانة الدولة[٣٦] .

وأدرك (ايمن) بثاقب بصره ان الثوابت في سياسة الدولة يجب ان لا تستند على أمور محاطة بضباب كثيف ، وتوقعات خيالية ، وإنما تستند على مرتكزات واقعية وجوهرية تتحقق من خلالها مصلحة الدولة والمواطنين . وفي ضوء ذلك اوصى بالزعامة لابنه (زهير بن ايمن) الذي يشير الأصمعي ان الغوث بن أيمن قال في حقه :

أبي الملكُ إلا ان يكون وليَّه ومالكه بد الهميسع أيمنُ
وأنَّ يتلقاهُ زهيرٌ وراثة وللتبر في مبسوطه الأرض معدنُ
ارى لزهيرٍ اذعن الناسُ كلهم كما لأبيه او لجده اذعنوا [٣٧]

وتميزت وصية (زهير) الى ابنه الوحيد (عريب) بكونها شاملة فاكد فيها على ضرورة استحضار وصايا اجداده ، لاسيما سبأ بن يشجب ، ونبهه الى انه كيف كان عادلا في تقسيم ادارة الدولة بين

---

(٣٥) م . ن .
(٣٦) م . ن .
(٣٧) م . ن ، ص ١٩ ــ ٢٠ .

الاخوين (حمير) و (كهلان) كما أوصاه بالثبات على سيرة أبيه (زهير) الذي استهدف العدل بين الرعية ، والتجاوز عن المسيء ، والكف عن أذى العشيرة ، والتحبب إليها ، ونبهه الى ان : (ما المرء إلا بقومه ولو عَزَّ وعلا)[٣٨]

وقال :

عريبُ لا تنسى ما وصى أبوكَ به إنَّ الوصيةَ لم يعدم بها الرشدُ
كل امرئ عِزَّهُ ــ فاعلم عشيرته وفي العشيرة يلقى العز والعددُ

* * *

اولا العرين ولولا حبس غابته لما سطا موهناً بالغِدْرة الاسدُ
فصيلة المرء تؤويه وتعضده إنَّ الذليلْ الذي ليست له عضدُ[٣٩]

وكان الأصمعي قد ابلغ الخليفة هارون الرشيد بان عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع قد وصى بنيه الأربعة بوصية اتسمت بالواقعية المستمدة من التجارب اليومية والحوادث التاريخية التي تؤكد واقعاً اجتماعياً وسياسياً أفرزته الحياة اليومية والمعاشة ، فقال : (يا بُنَّي ، اني وجَدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة ، والطاعة والملك يدور على ستة أشياء ، يا بنَّي أني وجدت الشرف لا يزايل الكرم ، ولا سؤدد لمن لا كرم له ، واني وجدت العزَّ في العدد حيث كان ، ولا عزَّ لي لا عدد له ، ولا عدد لمن لا عشيرة له ، واني وجدت النجدة في الايادي ، ولا نجدة لمن لا ايادي له ، واني وجدتُ الطاعة في العدل ، ولا طاعة لمن لا عدل له ، واني وجدت الملك في اصطناع الرجال ،

---

[٣٨] م . ن ، ص ٢٠ .

[٣٩] م . ن ، ص ٢٠ ــ ٢١ .

ولا ملك لمن لا يصطنع الرجال ، يا بني أحفظوا وصيتي ، ولا تعصوا أخاكم (قطناً) فانه خليفتي بعد الله ووليَّ الملكَ بعدي دون سائر أخوته)[٤٠] .

وبذلك يكون عريب بن زهير قد استهدف من وصيته تسليط الضوء على مواقفه الكثيرة والمهمة التي عززت من مناعة وقوة القبيلة ، لبعد نظره ، وشجاعته في مواجهة الأعداء ، وسخائه وكرمه ، ومواقفه الإنسانية ، وكشف بدقة وموضوعية عن مخاطر تخلخل وتشتت القبيلة ، ومن اجل ان يضمن الأخذ بهذه المبادئ خاطب ابنه المرشح قائلا :

مضت لأسلافنا فيمن مضى سنن ساسوا بها لهم ملكاً فما وهنوا
وسست بعدهم الملكَ الذي ملكوا وانتَ سائس ذلك الملكَ ياقطنُ
لم اعْدُ سيرتهم يوماً وانتَ لهم لا تعد عن سيرة ما اورقَ الفننُ
بالاصل تمرعُ لا بالفرع مونعة **وكيف يخضر ــ لولا أصله ــ الغصنُ**
ذر التفاضل عن نيل تجود به إنَّ التغافل عيٌّ والهدى فطنُ[٤١]

وإزاء هذا التشخيص الدقيق ، والرؤى الواضحة ، لم يكن أمام (قطن) منزع إلا أن يسير في الناس ، إلا سيرة أبيه ، وسيرة أسلافه بعد ان ولي الملك .

ولكي لا يقع ابنه ووريثه في مزالق ومثالب تنعكس سلبا على مصلحة الزعامة والقبيلة معاً ، قلد (قطن) الملكَ في حياته لابنه الغوث بن قطن بن عريب وأوصاه قائلا : يا بني ، أني لم أقلدك الملك ارتعابا

---

(٤٠) م . ن ، ص ٢١ .

(٤١) م . ن ، ص ٢١ ــ ٢٢ .

عنه ... إلا إني أردت أن أقف على سيرتك في الناس ، وسياستك للملك بينهم ، وان اعلم كيف طاعتهم لك ، كي لا اخرج من الدنيا وبي غصة من ذلك في أمرك وأمر الناس ، يا بني أوصيك بأخوتك أن تفعل لهم ما فعلته لك ، وانبذ إليهم نصيحتك ، وخفض لهم جناحك ، واسألك أن تفعل للعشيرة ما سألتك أن تفعله لأخوتك ، فما الراحة الا بالأصابع ، وما الساعد الا بالعضد))[٤٢] ولم يكتف (قطن) بذلك بل أردف يقول :

وصيت غوثاً بما وصى اوائله ... وللوصية إنماء وانكاثُ
قلدتُهُ الملكَ لما ان رأيت له ... ...[٤٣] نحوها للملك انعاث[٤٤]
ورثتُهُ سناً قد كنت وارثها ... وللملوك مواريث ووارثُ
قد ينعش الملك ذو الرأي الأصيل كما ... يحمي زراعته بالري حراثُ
كل جرى بالذي كانت تعلمه ... آباؤه ولكل لاح ميراثُ
والشرُ شرٌ ولو رويته زمناً ... والاري اري[٤٥]ولو نالته أحداث[٤٦]

ولما ولي (الغوث) الملك في حياة أبيه وبعد وفاته ، كان من أحسن الملوك سيرة ، وأثبتهم على سنن آبائه وأجداده ، وقبل ان تدرك (الغوث) الوفاة كان قد وصى ابنه (وائل بن الغوث) : بأن الملك دار بناها الله لإسلافه فعمروها بالعدل والإحسان ، وأكد على ضرورة

---

(٤٢) م . ن ، ص ٢٢ .

(٤٣) كلمة مطموسة ولم يتضح معناها .

(٤٤) الانعاث : الجد والاجتهاد . (ابن منظور ، لسان العرب ، ماد نعث) .

(٤٥) الاري : اذكاء الناء او الغيظ (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة اري) .

(٤٦) الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص٢٢ــ٢٣ .

اقتفاء أثرهم ، وبين له ان المملكة كالبنيان إنْ حصلت فيه ثلمة تبعتها ثلم مثلها فانهدم البنيان واوصاه خيراً بالرعية وانشأ يقول :

الملكُ دار لمن بالعدل يعمرها ... ممن يفوز بها من ال قحطانِ
من كان منهم له الاحسان يملكها ... بما لها من عمارات وسكانِ
ما ساكن الدار لولا الدار يحفظها ... الا كمن حلَّ في صحراء غيطانِ
وما عسى الدار لولا ما أحاط بها ... لعامر الدار من باب وبنيانِ
فان تعاودها ثَلْمٌ فساكنها ... وساكن الفدفدِ الفيفاء سيانِ
ما الدار الا بِمَنْ يحتلها وبمن ... يريد يعهد هامنه بعمرانِ
وما عسى يَجْمع الراعي اذا افترقت ... ليلا على الحجرة المعزى مع الضانِ[٤٧]

وكان وائل بن غوث بن قطن بن عريب قد ساس الملك بعد ابيه سياسة حمده عليها اهل زمانه ، وكذلك فعل ابنه عبد شمس بن وائل بن غوث حين ولي الملك اذا سار بالناس سيرة ابيه واصارهم على سنن اجداده واسلافه ولم تشر المصادر التي بين ايدينا الى ان عبد شمس بن وائل اوصى لمن بعده وكذلك الحال في عمرو بن معاوية ومعايه بن علاق ، ولاعلاق بن شدد ، ولا شدد بن الفظاظ[٤٨]

وعرف عن حمير الاصغر (الذي هو زرعة بن كعب بن سهل) انه كان حسن السيرة في الناس حين ولي الملك وكان قد اوصى ابنه شدداً فقال : لو كان الملك يسعى بثاقب رأيه دون اراء الناس لفضل عقله وكمال معرفته وبارع ادبه وفطنته وعلمه بما تقدم من التجارب لأسلافه مع ما حفظه ورواه واحاط به من سنن الاوائل من ابائه وملوك

---

[٤٧] م.ن ، ص٢٣ــ٢٤ .

[٤٨] م.ن ، ص٢٤ .

قومه وسنن الماضيين من اجداده لكنت اغنى الناس عن مشاركة الاراء ومشاركة الاقيال ووصيه الموصين.

الا ان لابد للملك ممن يعينه في الرأي والامر والنهي ولابد له من مشير يحمل عنه بعض ما يثقله من ذلك ، ولابد للولد من وصية الوالد_ قلت الوصية او كثرت[٤٩] _ وبذلك يكون حمير الاصغر (زرعة) قد سبق عبدالله بن المقفع (ت١٤٢هـ) الذي خاطب الخليفة المنصور (١٣٦_١٥٨هـ) قائلا : لا يستقيم السلطان الا بالوزراء والاعوان ولاينفع الوزراء الا بالمدد والنصيحه وأن حليه الملوك وزراؤهم وأبصر الوزراء من بصر صاحبه عيبه .

وتمثل وصية حمير الاصغر (زرعة) التي استعرضناها تواً ، استخلاصاً دقيقاً وجوهرياً يمكن ان تتحقق من خلاله مصلحه الاسرة والقبيلة معاً ذلك انه خاطب ابنه شدد بوصية اخرى صاغ مفرداتها شعراً فقال :

جربتُ قلبكَ اسباباً علمتُ بها ... في الملكِ يبني وبين الناس ياشددُ
فلم اجد عدةً للملك تكلؤه ... مثل النوال اذا ماقلَّتْ العددُ
ولم اجد طاعةً كالعدل ابرعهت ... من طاعة لمليك في الانام يدُ
والناس كالوحش ان داريتهم شربوا ... وان دنيت لهم عافوا وما وردوا
متى اطاعك سادات العشيرة لا ... يعطيك في الناس فاعلم بعدها احدُ
دار الورى وذوي القرن وجد لهم ... بالفضل انك مطلوب بما تجد[٥٠]

---

[٤٩] م.ن ص٢٥ .

[٥٠] م.ن ،ص٢٦ .

وكان الاصمعي(ت٢١٧) قد ابلغ الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ــ١٩٣هـ) بأن شدد بن زرعة بن كعب قد ولي الملك دهراً طويلاً لا يعصيه احد من حمير ولا من كهلان في ملكه وبأنه سار في الناس سيرة ابائه واجدادهم على سنن اجداده ، وحفظ وصايا الاوائل من اسلافه والتزم بها وعمل بما دلت عليه الى ان توفى[٥١]

وشكلت نهاية حكم شدد بن زرعة نقله نوعية في سلسلة وصايا ملوك العرب التي نحن بصدد استعراض مضامينها وتوجهاتها ، ذلك ان المصادر التي بين ايدينا لم تشر الى ان شدد بن زرعة قد اعطى وصية لمن بعده ولعل مرد ذلك الى ان شددا لم يعين ابنه خليفه من بعده ذلك ان الملك انتقل الى ابن عمه الحارث الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ الاصغر بن كعب بن سهل بن قيس بن معاويه بن يشجب بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع[٥٢] والرائش هو جد التبابعة السبعة[٥٣]

وتشير النصوص ان (الرائش) قام بمبادرة جريئة وجديدة اذ قسم الاراضي الزراعية بين افراد القبيلة ، واعانهم على عمارتها ، فارتاشت العشائر واستغنى بعضهم عن بعض وعن كثير مما كانوا محتاجين اليه مما في يد زعيمهم ، ولارتياشهم معه سموه (الرائش)[٥٤]

---

[٥١] م.ن .

[٥٢] م.ن ،٢٦ــ٢٧ .

[٥٣] جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ص٣٩.

[٥٤] الاصمعي ، تاريخ العرب ، ص٢٧ .

وقبيل وفاة الرائش وصى ابنه (ابرهة ذا المنار بن الرائش) بفعل الخير وحثه على العدل بين الناس والاحسان على جميع افراد القبيلة وانشأ يقول :

حويتُ لك الملكَ الذي كان حازه لاولاده في سالف الدهر حميرُ
فكن حافظا للملك بعدي عامراً فقد يحفظ الملك الاثيل ويعمرُ
وعمرانه ان يبسط العدل دونه وبالعدل تنهي مانهيت وتأمرُ
وثابر على الاحسان انك لن ترى فتي محسناً إلأيُمان ويُنْصرُ
وقومك واصلهم وحطهم فانما بقومك تعلو مَنْ اردتَ وتقهرُ

قال الاصمعي ان ابراهة ذا المنار ولي الملك بعد ابيه وهو اول ملك نصب الاعلام ، وبنى الاميال والعلاقات الدالة على الطرق والمناهل فلذلك سمي (ذو المنار) وانه لم يتوسل باداة من خارجة حلبة الاسرة والقبيلة ولا بحدث من موضع الخيال والفرضيات ، وهذا لعمري مايفرق المجرب الخصب عن الجاهل العقيم[٥٥]

لذلك وصى ابنه (عمرو ذا الاذعار) قائلا : يابنيَ ان الملك زرع ، والملك قيم ذلك الزرع فان احسن القيم قيامه عليه ، وتعاهده بالحفظ ، وحماه من المؤذيات من البهائم والطير ، زكا زرعه وكثر حصاده ومحصوله وحُمِدَ القيم واستكرمت الارض وان كان القيم غير متفقد لذلك الزرع ، ولا متيقظ للمثابره على سقيه وحمايته اوهنه العطش وايبسه واكلته الطير وداسته البهائم فلا الزرع زاك ، ولا الارض معمورة ، ولا القيم محمود ، ولكي يؤكد وصيته صاغها شعراً فقال :

---

[٥٥] م.ن ، ص٢٨ .

ياعمرو انك ماجهلتَ وصيتي ... اياك ما حفظهـــــا فانك ترشدُ
ياعمرو والله ماساد الــورى ... فيما مضى الا المعين المرفــدُ
كل امرئ ياعمرو حاصد زرعــه ... والزرع شئ لا محالة يحصــدُ
ان كان مذموماً فيعرف دونه ... بالــذم فيــه الــزارع المتقلــدُ
او كان محموداً فتحمد ارضه ... والزرع والــزراع كل يحمــدُ
ياعمرو من يشري العلا بنواله ... كرماً يقال له :الجــواد الســيدُ
واصل ذوي القربى وحطْهم انهم ... بهمُ تعز الأبعــدين وتضهــدْ[٥٦]

وذكر الاصمعي[٥٧] ، ان (عمرو ذا الاذعار) وصى ابنيه تبعــاً ورفيدة وصية رسمت اطاراً محدداً يربط الاخوين ويشــد اصــرهما وتماسكهما وفي الوقت نفسه يجعلهما يشكلان محور القبيلة وقطبهــا الذي لابد من تعزيزه وتقويته ، لأنه يمثل صــلب القبيلــة وقوتهــا ومنعتها ، فقال في وصيته لهما : ما الملك الا رحا تدور على قطب ، فان جعل لها مع ذلك القطب قطب اخر ، وقفت الرحــا ومــا دارت كذلك الحال في الملك فهو لا يستوي لاثنين الا ان يكــون احــدهما المُقْتَدي والاخر المقتدى به ، وان التاج لايسع الرأسين ، فلا يجتمــع الرأسان في تاج ابداً ، كما لا يصلح السيفان في غمد واحد ثم صــاغ افكاره هذه شعراً فقال:

رفيدة لاتعصي اباك فانــه ... رأى رأيه ان يعطي الملكَ تبعا
ليعطيك الخيل المغيره تبع ... فترعى له الملكَ اللقاح الممنعــا
ينال بكَ العليا وأنْتَ بمثله ... تنالُ به طوداً من العــز منقعــا

---

[٥٦] م.ن ، ص٣١ .
[٥٧] م.ن ، ص٣١ــ٣٢ .

وبعد وفاة (عمرو ذو الاذعار) تولى الملك ابنه تبع بن عمرو ذو الاذعار وقلد اخاه (رفيده بن ذي الاذعار) الوزارة ، وكان الى تبـــع مايكون الى الملك وكان الى رفيدة مايكون الى الوزير ، فبقيا في ذلك دهراً طويلاً على وصية ابيهما عمرو بن ذي الاذعار، وسار الملـــك تبع في الناس سيرة ابيه وبسط العدل والاحسان في الارض ورضى عنه الجميع.

وخلاصه القول يتضح امام الباحث ان الوصية عند العـــرب قبل الاسلام كانت قصيرة وبليغة ، وتتصف بأنها واقعية وعمليـــة ، لانها تستمد معانيها ومعطياتها من واقع حياتهم اليومية المعاشة ، وان الثبات عليها من قبل الموصى له امر في غاية الاهميـــة ، لان مـــن شأن ذلك ان يمهد السبيل للملتزم بالوصية نيل الرئاسة والفوز بالملك بعد الموصي ، كما ان الثبات على مضمون الوصية يعنـــي التحلـــي بتلك الصفات الحميدة التي تؤهل صاحبها لنيل الرئاسة وبذلك يصبح هذا الملتزم نموذجاً ادبياً واخلاقياً يحتذى به.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم :
- ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد (ت٦٣٠هـ) .
الكامل في التاريخ (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) .
العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،(بيروت ، دار الكتاب ، ١٩٥٦) .
- ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ) .
العقد الفريد ، (مصر ، المطبعة العامرة الشرقية ، ١٣٠٥هـ) .
- ابن قدامة ، موفق الدين ابو محمد عبد الله بن احمد (ت ٦٢٠هـ) .
المغني في فقه الامام احمد بن حنبل ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٣) .
- ابن كثير ، ابو الفداء عماد الدين اسماعيل (ت٧٧٤هـ) .
ـ البداية والنهاية في التاريخ ، (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٤) .
ـ تفسير القرآن العظيم ، (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، بلا) .
- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) .
لسان العرب ، (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٦) .

- ابو حنيفة الدينوري ، احمد بن داود (ت٢٨٣هـ) .

الاخبار الطوال ، (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٦٠) .

- الازهري ، محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ) .

تهذيب اللغة (القاهرة ١٩٦٧ مادة (وصى) .

- الاشقر ، محمد سليمان .

زبدة التفسير في فتح القدير ، (الكويت ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٥) .

- الاصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت٢١٧هـ) .

تاريخ العرب قبل الاسلام ، (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٩) .

- الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ) .

الصحاح ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٧) .

- الحميري ، نشوان .

شمس العلوم ، (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١) .

- الزمخشري ، ابو القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ) .

اساس البلاغة ، (القاهرة ، مطابع الشعب ، ١٩٦٠) .

- الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) .

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٨)

ـ تاريخ الرسل والملوك ، (القاهرة ، مطابع دار المعارف ، ١٩٦٧) .

- علي ، جواد .

تاريخ العرب قبل الاسلام ، (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٩٥١) .

- الفراهيدي ، الخيل بن احمد (ت١٧٥هـ) .

العين ، (بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٦) .

- المسعودي ، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٥) .

- النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٢٣هـ) .

نهاية الارب ، (القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، بلا) .

- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٩٢هـ) .

تاريخ اليعقوبي ، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٤) .